
كتيب
النبي محمد في التوراة والإنجيل
من كتاب «قصة تروم المسيحية»
كريم عشماوي

النبي محمد في التوراة والإنجيل

ما زالت البشارات بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم حاضرة في نصوص التوراة والإنجيل، وإن كانت هذه البشارات قد أصبحت في كثير من الأحيان محجوبة خلف الترجمات والتفسيرات اللاحقة. وعند العودة إلى الألفاظ الأصلية، والنظر في جذورها اللغوية وسياقها، تظهر مواضع تستحق التوقف والتأمل، وفي مقدمتها لفظ «محمديم» الوارد في نشيد الأنشاد، ثم البشارة التي نقلها القرآن الكريم عن عيسى عليه السلام بأنه بشّر برسول يأتي من بعده اسمه «أحمد».

وهذه القضية ليست منفصلة عن التصور القرآني للرسالات السابقة؛ فالقرآن يؤكد أن النبي الأمي كان معروف الصفات في الكتب السابقة، وأن أهل الكتاب كانوا يجدون ذكره فيها.

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 157]

إذن، وفق التصور القرآني، فإن البحث عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم في كتب أهل الكتاب ليس بحثًا عن شخصية لا علاقة لها بما سبقها من الوحي، وإنما بحث عن النبي الذي جاءت البشارة به قبل ظهوره، والذي جاء مصدقًا لأصل الرسالات السابقة ومتممًا لسلسلة النبوة.

أولًا: محمديم في نشيد الأنشاد الإصحاح الخامس

ويأتي النص في وصف الحبيب على النحو الآتي: «حبيبي أبيض وأحمر، معلم بين ربوة. رأسه ذهب إبريز. قصصه متموجة، حالكة كالغراب. عيناه كحمام على مجاري المياه، مغسولتان باللبن، جالستان في مواضعهما. خداه كخميلة الطيب، أبراج أطياب. شفتاه سوسن تقطران مرًّا مائعًا. يداه حلقتا ذهب مرصعتان بالزبرجد. بطنه عاج أبيض مغطى بالياقوت الأزرق. ساقاه عمودا رخام مؤسسان على قاعدتي ذهب خالص. طلعته كلبنان، فتى كالأرز. حلقه حلاوة، وكله مشتهيات. هذا حبيبي وهذا خليلي يا بنات أورشليم».

والعبارة الأخيرة في النص العبري هي:

חִכּוֹ מַמְתַקִּים וְכֻלּוֹ מַחֲמַדִּים זֶה דוֹדִי וְזֶה רֵעִי בְּנוֹת יְרוּשָׁלָם

وتظهر في نهاية العبارة الكلمة: **מַחֲמַדִּים**

وتُنقل صوتيًا: محمديم – Machmadim

وهذه هي الكلمة التي أصبحت محورًا مهمًا في الاستدلال الإسلامي على وجود إشارة إلى اسم محمد صلى الله عليه وسلم في النص.

ثانيًا: الجذر العبري «حمد»

لفهم وجه الاستدلال، لا بد من العودة إلى أصل الكلمة.

الجذر العبري هو: **ח ـ מ ـ ד**

وهو جذر سامي يقابله في العربية الجذر: ح ـ م ـ د

ومن هذا الجذر العربي جاءت كلمات كثيرة، منها:

حَمْد — حامد — محمود — أحمد — محمد

أما في العبرية فتظهر منه ألفاظ مرتبطة بمعاني المحبة والرغبة والاستحسان والشيء النفيس أو المحبوب.

ولهذا فإن لفظ: **מַחֲמַד**

يحمل معنى الشيء المحبوب أو المرغوب أو النفيس، بينما جاءت في النص الصيغة:

מַחֲמַדִּים «محمديم».

والاستدلال الإسلامي يركز على أن هذا اللفظ يحتفظ بجذر «حمد» بصورة ظاهرة، وأنه يأتي في نهاية وصف طويل لشخصية يصفها النص بأنها محبوبة ومتميزة وجميلة الصفات.

ومن هنا يرى أصحاب هذا الاتجاه أن نقل الكلمة إلى معنى عام مثل «مشتهيات» أو «مُحبّب» يؤدي إلى إخفاء التشابه اللفظي الذي يظهر عند الرجوع إلى النص العبري نفسه.

ثالثًا: لماذا يلفت لفظ «محمديم» الانتباه؟

المسألة لا تقوم على التشابه الصوتي المجرد بين «محمد» و«محمديم» فقط، وإنما على اجتماع ثلاثة عناصر:

أولها: وحدة الجذر السامي «حمد».

وثانيها: المعنى المرتبط بالمدح والمحبة والاستحسان.

وثالثها: ورود الكلمة في نهاية وصف طويل لشخصية متميزة يقول النص عنها:

«وكله محمديم»

ثم يختم: «هذا حبيبي وهذا خليلي يا بنات أورشليم».

ولهذا فإن الباحث المسلم لا يتعامل مع الكلمة باعتبارها لفظًا منفصلًا عن النص، بل يضعها ضمن البناء الكامل للعبارة ،فالكلمة تأتي بعد سلسلة متتابعة من أوصاف الهيئة والجمال والتميز، ثم تظهر في الخاتمة بصيغة: محمديم.

وهذا ما جعلها من أشهر المواضع التي يُستدل بها على البشارة بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم.

رابعًا: وصف الشخصية في النص

يزداد وجه الاستدلال وضوحًا عند النظر إلى الأوصاف التي سبقت كلمة «محمديم».

يقول النص: «حبيبي أبيض وأحمر».

وهذا الوصف يُقارن بما ورد في الأحاديث النبوية من وصف بشرة النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه كان أبيض مشربًا بحمرة.

ثم يقول: «قصصه متموجة، حالكة كالغراب».

أي أن شعره أسود شديد السواد ومتموج، وهي صفة وردت في كتب الشمائل عند وصف شعر النبي صلى الله عليه وسلم.

ثم يقول: «عيناه كحمام على مجاري المياه، مغسولتان باللبن».

وقد ورد في الأحاديث وصف عيني النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر شدة سوادهما مع شدة بياضهما.

ثم يقول: «خداه كحميلة الطيب، أبراج أطياب».

وهنا ينتقل النص إلى الرائحة والطيب، وهي من الصفات التي اشتهر بها النبي صلى الله عليه وسلم، فقد وردت في شمائله أوصاف متعددة لطيب رائحته وطيب عرقه.

ثم يقول: «يداه حلقتا ذهب مرصعتان بالزبرجد».

واليد في الوصف العربي والسامي ترتبط كذلك بالقوة والعطاء والكرم،

وهي صفات اشتهر بها النبي صلى الله عليه وسلم.

ثم يقول: «ساقاه عمودا رخام».

وهو تصوير للقوة والثبات وحسن الهيئة.

ثم: «طلعته كلبنان، فتى كالأرز».

فتأتي الصورة النهائية لشخص ذي هيئة مميزة وقوة وجمال ورفعة.

ثم تأتي الخاتمة: «حلقه حلاوة، وكله محمديم».

وهنا تظهر الكلمة التي يتوقف عندها البحث.

خامسًا: محمد وأحمد ومحمود

اللغة العربية نفسها تكشف العلاقة بين هذه الأسماء.

فالجذر هو: ح ـ م ـ د

ومن هذا الجذر: حَمَد: أثنى وشكر.

حامد: كثير الحمد.

محمود: من وقع عليه الحمد.

أحمد: الأكثر حمدًا أو الأحق بالحمد.

محمد: كثير الخصال التي يُحمد عليها، وكثير الحمد.

ولهذا فإن اسم «محمد» ليس مجرد صوت، وإنما اسم يحمل في بنيته معنى الحمد وكثرة المحامد.

أما «أحمد» فهو اسم البشارة التي نقلها القرآن عن عيسى عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الصف: 6]

فالقرآن هنا لا يذكر مجرد صفة، بل يقول: «اسمه أحمد».

أي أن عيسى عليه السلام، بحسب القرآن، بشّر برسول يأتي بعده، وذكر اسمه.

وهنا تنتقل القضية من البحث في «محمديم» إلى البحث في البشارة الموجودة في الإنجيل نفسه.

سادسًا: بشارة المسيح بمن يأتي بعده

يقول إنجيل يوحنا 14:16:

«وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزيًا آخر ليمكث معكم إلى الأبد».

والكلمة اليونانية الموجودة في النص المتداول هي:

Παράκλητος

وتُنقل إلى الحروف اللاتينية:

Parakletos

وتترجم عادة إلى:

المعزي

أو بمعانٍ قريبة مثل المؤيد والمعين والشفيع بحسب السياق.

لكن في مقابل هذه الكلمة تظهر في البحث الإسلامي كلمة أخرى:

Περικλυτός

وتُنقل:

Periklutos

وترتبط بمعاني:

المشهور، الممدوح، المحمود، المشاد به.

وهنا تظهر المقارنة بين:

Parakletos — Παράκλητος

و:

Periklutos — Περικλυτός

ويقوم وجه الاستدلال على أن «**Periklutos**» أقرب من جهة المعنى إلى «أحمد»، لأن «أحمد» يدل على كثرة الحمد وعلو مكانة الممدوح.

وهكذا تصبح المسألة في القراءة الإسلامية انتقالًا من معنى: الممدوح والمحمود

إلى: المعزي.

ويُنظر إلى ذلك باعتباره أحد المواضع التي يمكن أن تكون قد تأثرت بالنقل والترجمة وتطور الاصطلاحات العقائدية.

سابعًا: لماذا أصبحت اللغة اليونانية مركزية في القضية؟

كان عيسى عليه السلام من بني إسرائيل، وكانت البيئة التي عاش فيها بيئة سامية، وكانت الآرامية من أهم اللغات المتداولة في فلسطين في عصره.

أما النصوص المسيحية التي وصلت إلينا فقد انتقلت إلى اليونانية، وأصبحت اليونانية لغة مركزية في تدوين المسيحية المبكرة وانتشارها في العالم المتوسطي.

وهنا تظهر أهمية السؤال اللغوي:

إذا كانت البشارة الأصلية قد قيلت في بيئة سامية، ثم وصلت إلى القارئ من خلال نص يوناني، فهل بقي اللفظ الأصلي كما هو؟

وإذا تغير اللفظ، فهل تغير معه المعنى؟

وهل يمكن أن يكون «المحمود» قد أصبح «المعزي» عبر انتقال النص بين اللغات والتقاليد؟

هذه الأسئلة هي التي جعلت لفظ «Parakletos» من أشهر المواضع التي ناقشها المسلمون عند البحث عن بشارة النبي محمد صلى الله عليه وسلم في الإنجيل.

ثامنًا: «روح الحق» الذي لا يتكلم من نفسه

لا تتوقف البشارة عند يوحنا 14، بل تتكرر في يوحنا 16.

يقول النص: «إن لي أمورًا كثيرة أيضًا لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن. وأما متى جاء ذاك، روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمور آتية. ذاك يمجدني».

وهذه العبارة تتضمن مجموعة من الصفات المتتابعة:

«متى جاء»

أي أن الموصوف لم يكن قد ظهر بعد في سياق الخطاب.

ثم: «روح الحق». ثم: «لا يتكلم من نفسه».

ثم: « كل ما يسمع يتكلم به» ، ثم: «يخبركم بأمور آتية».

ثم: «ذاك يمجدني».

وفي القراءة الإسلامية، تتوافق هذه الصفات مع نبي يأتي بعد عيسى عليه السلام، يتلقى الوحي من الله، ويبلغ ما يوحى إليه، ويخبر بأمور غيبية، ويعظم المسيح ويشهد له بالرسالة.

وهذا بالضبط ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم.

فهو لم يأتِ لينكر عيسى، وإنما أعلن أن عيسى رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأنه المسيح ابن مريم، وأن أمه صديقة، وأنه من أعظم أنبياء الله.

قال تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة: 75]

تاسعًا: البشارة باسم أم بالصفة؟

هنا تتجمع عناصر البحث في صورة واحدة.

في نشيد الأنشاد نجد:

מַחֲמַדִּים — محمديم

وفي القرآن نجد: «اسمه أحمد».

وفي إنجيل يوحنا نجد الحديث عن الآتي بعد المسيح، الذي:

لا يتكلم من نفسه

و: كل ما يسمع يتكلم به

و: يخبر بأمور آتية

و: يمجد المسيح.

وهذه العناصر مجتمعة هي التي جعلت الباحثين المسلمين يرون في هذه النصوص سلسلة من البشارات التي تشير إلى شخصية واحدة، هي النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

فالبشارة ليست مجرد اسم منفرد، ولا وصف منفرد، وإنما مجموعة من الإشارات التي يُنظر إليها مجتمعة: الاسم، والمعنى، والزمن، والوظيفة، وما يحمله النبي القادم من رسالة.

عاشرًا: وحدة الرسالات

القرآن لا يقدم محمدًا صلى الله عليه وسلم بوصفه قاطعًا لسلسلة الأنبياء، بل بوصفه خاتمًا لها.

موسى عليه السلام جاء بالتوراة.

وعيسى عليه السلام جاء مصدقًا للتوراة ومبشرًا بمن يأتي بعده.

ثم جاء محمد صلى الله عليه وسلم مصدقًا لما سبقه من الوحي، ومصححًا لما دخل على العقائد من تغيير، ومتممًا لسلسلة النبوة.

ولهذا قال الله تعالى:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾

[آل عمران: 64]

فالرسالة في أصلها واحدة: عبادة الله وحده، واتباع رسله، وعدم تحويل الأنبياء إلى آلهة.

ومن هنا يصبح البحث في «محمديم» وبشارة «أحمد» جزءًا من بحث أكبر عن استمرارية الوحي، وعن النبي الذي بشّر به من سبقه.

إذا كان ماسبق توقف عند لفظ «محمديم» وبشارة عيسى عليه السلام بالرسول الذي يأتي من بعده، فإن النصوص الأخرى تفتح دائرة أوسع من البشارة، إذ لا تتحدث فقط عن اسم أو لقب، وإنما تقدم أوصافًا تتعلق بأصل النبي القادم، ومكان ظهوره، وطبيعة رسالته، وما تحمله من شريعة، ثم تصف أثر رسالته وانتشار أصحابه.

وهنا تبرز نصوص من التوراة والأنبياء والإنجيل تتضمن إشارات جغرافية ونَسَبية ووصفية، يرى الباحث المسلم أنها تجمع في شخصية واحدة هي النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

أولًا: النبي الذي يأتي «مثل موسى»

من أقوى النصوص التي يُستدل بها في هذا الباب ما جاء في سفر التثنية 18:18-19.

يقول النص:

«أقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به. ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطلبه منه.»

وهنا تظهر عدة أوصاف متتابعة.

أولًا: «نبيًا»

فالنص يتحدث عن نبي، وليس عن إله.

ثانيًا: «مثلك»

أي شبيه بموسى.

ثالثًا: «من وسط إخوتهم»

رابعًا: «أجعل كلامي في فمه»

خامسًا: «فيكلمهم بكل ما أوصيه به».

وهذه الأوصاف، عند جمعها، ترسم صورة نبي يتلقى كلام الله ثم يبلغه إلى قومه.

وهنا يظهر السؤال المركزي: من هو النبي الذي جاء بعد موسى، وكان شبيهًا به، وخرج من غير بني إسرائيل، وتلقى وحيًا وشريعة، وأصبح صاحب أمة ودولة وتشريع؟

في القراءة الإسلامية، تنطبق هذه الصفات على محمد صلى الله عليه وسلم بصورة واضحة.

فموسى ومحمد عليهما السلام كلاهما نبي صاحب شريعة، وكلاهما قاد أمة، وكلاهما واجه قومًا مخالفين، وكلاهما انتقل برسالته من مرحلة الدعوة إلى إقامة مجتمع له نظام وتشريع.

أما عيسى عليه السلام، فلم يكن مماثلًا لموسى بهذه الصورة؛ إذ جاء مصدقًا للتوراة، ولم يأتِ بشريعة مستقلة تضاهي شريعة موسى من حيث البناء التشريعي والسياسي.

ولهذا ركز الاستدلال الإسلامي على عبارة:

«نبيًا مثلك».

ثانيًا: «من وسط إخوتهم»

هذه العبارة من أهم مفاتيح النص.

فإذا كان الخطاب لبني إسرائيل، فإن «إخوتهم» يمكن أن تُفهم على أنها الشعوب القريبة منهم بالنسب، وليس بالضرورة أفرادًا من بني إسرائيل أنفسهم.

وبنو إسرائيل ينتسبون إلى إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام، بينما ينتسب العرب، ومنهم النبي محمد صلى الله عليه وسلم، إلى إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام.

إسحاق وإسماعيل أخوان، ومن ثم فذرية إسماعيل هي من «إخوة» بني إسرائيل من جهة إبراهيم عليه السلام.

وهذا يجعل العبارة ذات أهمية كبيرة في الاستدلال على نبي عربي.

فالنص لم يقل فقط: «من وسطهم»

بل قال: «من وسط إخوتهم».

وهذا هو الموضع الذي يرى فيه الباحث المسلم إشارة إلى خروج النبي من الفرع الآخر من ذرية إبراهيم، أي ذرية إسماعيل.

والنبي محمد صلى الله عليه وسلم من نسل إسماعيل بن إبراهيم عليهم السلام.

ثالثًا: «وأجعل كلامي في فمه»

هذه العبارة تكتسب أهمية خاصة عندما تقارن بصفة النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

فالنبي محمد صلى الله عليه وسلم كان أميًا، ولم يكن يقرأ كتابًا قبل نزول الوحي عليه، ثم تلقى القرآن عن طريق الوحي وبلغه شفهيًا إلى الناس.

والقرآن نفسه يؤكد هذه الصفة:

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 157]

والقرآن نزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم متلوًا، فكان يسمعه من الوحي ثم يتلوه على أصحابه ويحفظونه عنه.

ولهذا فإن عبارة: «وأجعل كلامي في فمه»

تكتسب دلالة قوية في المقارنة مع الطريقة التي تلقى بها محمد صلى الله عليه وسلم القرآن.

رابعًا: جبل فاران

من النصوص المهمة كذلك ما جاء في سفر التثنية 33:2.

النص: «جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبل فاران، وأتى من ربوات القدس، وعن يمينه نار شريعة لهم.»

وهنا تظهر ثلاثة مواضع متتابعة:

سيناء ثم: سعير ثم: فاران.

والقراءة الإسلامية ترى في ذلك صورة لتتابع الرسالات.

سيناء مرتبطة بموسى عليه السلام ونزول التوراة.

وسَعير مرتبطة بأرض عيسى عليه السلام.

ثم تأتي فاران باعتبارها موطنًا ارتبط بإسماعيل وذريته.

وتزداد أهمية فاران في ضوء ما جاء في سفر التكوين عن إسماعيل.

فقد جاء في التكوين:

«وكان الله مع الغلام فكبر، وسكن في البرية، وكان ينمو رامي قوس. وسكن في برية فاران، وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر.» [التكوين 21:20-21]

فاران إذن مرتبطة بإسماعيل في النص التوراتي.

وإذا كانت فاران هي موطن إسماعيل وذريته، فإن ظهور الرسالة من فاران يفتح الطريق إلى البحث عن النبي الذي ظهر في بلاد العرب.

والنبي محمد صلى الله عليه وسلم ظهر في مكة، وهي موطن إسماعيل وذريته، ومنها خرجت الرسالة الإسلامية إلى العالم.

ثم يختم نص التثنية بعبارة شديدة الأهمية: «وعن يمينه نار شريعة لهم».

أي أن الأمر لا يتعلق بمجرد شخص روحي أو واعظ، وإنما بشريعة ،وهذه النقطة مهمة عند المقارنة بين الأنبياء؛ فمحمد صلى الله عليه وسلم جاء بشريعة كاملة، بينما جاء الإسلام بنظام متكامل للعبادة والمعاملات والأسرة والمجتمع والحكم والأخلاق.

خامسًا: إشعياء 42 — عبد الله الذي يخرج الحق إلى الأمم

من أبرز النصوص التي يستدل بها الباحثون المسلمون كذلك ما جاء في سفر إشعياء 42.

يبدأ النص: «هوذا عبدي الذي أعضده، مختاري الذي سرت به نفسي. وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأمم. لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته. قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة خامدة لا يطفئ. إلى الأمان يخرج الحق. لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته.»

ثم يقول النص: «هكذا قال الله الرب خالق السماوات وناشرها، باسط الأرض ونتائجها، معطي الشعب عليها نسمة والساكنين فيها روحًا. أنا الرب قد دعوتك بالبر، فأمسك بيدك وأحفظك وأجعلك عهدًا للشعب ونورًا للأمم، لتفتح عيون العمي، لتخرج من الحبس المأسورين، من بيت السجن الجالسين في الظلمة.»

ثم يقول:«أنا الرب هذا اسمي، ومجدي لا أعطيه لآخر، ولا تسبيحي للمنحوتات. هوذا الأوليات قد أتت والحديثات أنا مخبر بها. قبل أن تنبت أعلمكم بها.»

ثم يأتي الوصف الجغرافي: «رنمي للرب ترنيمة جديدة، تسبيحه من أقصى الأرض، أيها المنحدرون في البحر وملؤه والجزائر وسكانها. لترفع البرية ومدنها صوتها، الديار التي سكنها قيدار. لترنم سكان سالع، من رؤوس الجبال ليهتفوا. ليعطوا الرب مجدًا ويخبروا بتسبيحه في الجزائر.»

وهنا تتجمع عدة عناصر في نص واحد: عبد الله ، الحق للأمم ، الشريعة ، الأمم والجزائر ، قيدار ، سالع.

والباحث المسلم يتوقف بصورة خاصة عند: «الديار التي سكنها قيدار».

فقيدار من أبناء إسماعيل، ومن ثم فإن إدخال قيدار في سياق بشارة عن عبد يخرج الحق إلى الأمم يجعل النص ذا صلة قوية بذرية إسماعيل والعرب.

والنبي محمد صلى الله عليه وسلم من ذرية إسماعيل.

كما أن الرسالة المحمدية لم تبقَ محصورة في قوم أو قبيلة، وإنما خرجت إلى الأمم، وانتشرت من جزيرة العرب إلى أنحاء العالم.

سادسًا: قيدار وذرية إسماعيل

قيدار ليس اسمًا عابرًا في النصوص القديمة، بل هو أحد أبناء إسماعيل.

وجاء في سفر التكوين: «وهذه أسماء بني إسماعيل بأسمائهم حسب مواليدهم: نبايوت بكر إسماعيل وقيدار وأدبائيل ومبسام، ومشماع ودومة ومسا وحدار وتيما ويطور ونافيش وقدمة.»[التكوين 25:13-15]

إذن قيدار من نسل إسماعيل.

وعندما يأتي في إشعياء وصف للديار التي سكنها قيدار ضمن سياق الحديث عن عبد يخرج الحق للأمم، يصبح الربط الجغرافي والنسبي واضحًا في القراءة الإسلامية.

النبي محمد صلى الله عليه وسلم ظهر في بلاد العرب.

وهو من نسل إسماعيل.

والرسالة التي جاء بها خرجت من مكة، ثم انتشرت بين الأمم.

سابعًا: سالع والمدينة

يذكر نص إشعياء: «لترنم سكان سالع، من رؤوس الجبال ليهتفوا.»

وسالع اسم مرتبط بمنطقة جبلية في بلاد العرب، ويربطه الاستدلال الإسلامي بجبل سَلْع في المدينة المنورة.

والمدينة لها مكانة مركزية في سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

فهي المدينة التي هاجر إليها النبي صلى الله عليه وسلم، ومنها قامت الدولة الإسلامية الأولى، ومنها انطلقت الرسالة إلى خارج الجزيرة العربية.

ولهذا يلفت وجود «قيدار» و«سالع» في سياق واحد الانتباه عند المقارنة؛ فالنص يجمع بين أسماء مرتبطة بذرية إسماعيل وبلاد العرب، ثم يتحدث عن ظهور الحق وانتشار التسبيح.

ثامنًا: حبقوق — تيمان وفاران

ويظهر ذكر فاران مرة أخرى في سفر حبقوق 3:3-4:

«الله جاء من تيمان، والقدوس من جبل فاران. سلاه. جلاله غطى السماوات، والأرض امتلأت من تسبيحه. وكان لمعان كالنور، له من يده شعاع، وهناك استتار قدرته.»

والنص يجمع بين: تيمان و: فاران.

وفاران، كما سبق، مرتبطة بإسماعيل في النصوص التوراتية.

ثم تأتي الصورة: «جلاله غطى السماوات، والأرض امتلأت من تسبيحه».

وهذا المعنى يلفت النظر عند مقارنته بانتشار الإسلام والتسبيح في العالم الإسلامي؛ فذكر الله والتوحيد والصلاة والقرآن انتشر من مكة إلى أنحاء واسعة من الأرض.

ولا تقف الصورة عند مجرد ظهور رجل في منطقة بعيدة، وإنما تتحدث عن انتشار الحق والتسبيح واتساع أثر الرسالة.

تاسعًا: روح الحق الذي يخبر بما يسمع

نعود هنا إلى النص الذي ورد في إنجيل يوحنا، لكن من زاوية مختلفة عن المقال الأول.

يقول المسيح: «إن لي أمورًا كثيرة أيضًا لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن. وأما متى جاء ذاك، روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمور آتية. ذاك يمجدني، لأنه يأخذ مما لي ويخبركم.»

وهذه العبارة تحتوي على سلسلة صفات لا يمكن تجاهلها عند بناء الصورة الكاملة.

الشخص يأتي بعد المسيح.

وهو مرتبط بالحق.

ولا يتكلم من نفسه.

يتكلم بما يسمع.

يخبر بأمور آتية.

ويمجد المسيح.

وفي التصور الإسلامي، هذه الوظائف تنطبق على النبي الذي جاء بعد عيسى عليه السلام.

فمحمد صلى الله عليه وسلم لم يأتِ منكرًا للمسيح، وإنما جاء مؤكدًا أنه رسول الله، وأنه المسيح ابن مريم، وأنه كلمة من الله، وأنه من أولي العزم من الرسل.

بل إن القرآن جعل الإيمان بعيسى جزءًا من الإيمان الإسلامي.

قال الله تعالى:

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 136]

وهكذا لا يكون ظهور محمد صلى الله عليه وسلم قطيعة مع عيسى، بل امتدادًا لسلسلة النبوة.

عاشرًا: لماذا «لا يتكلم من نفسه»؟

هذه العبارة تتوافق بصورة لافتة مع وصف النبي محمد صلى الله عليه وسلم للوحي.

قال الله تعالى:

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾

[النجم: 3-4]

فالقرآن يقرر أن النبي لا ينطق في تبليغ الوحي عن هوى، وإنما يتلقى الوحي من الله.

وهذا يتقاطع في المعنى مع:

«لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به».

ثم تأتي العبارة الأخرى:

«ويخبركم بأمور آتية».

والنبي محمد صلى الله عليه وسلم جاء بوحي يتضمن أخبارًا عن الماضي والمستقبل، وأخبر بأحداث وقعت بعد ذلك، كما جاء القرآن بأخبار أمم سابقة وبشارات ووعود ووعيد.

ثم يقول النص:

«ذاك يمجدني».

وهذا أيضًا حاضر بقوة في القرآن.

فالإسلام لم يلغ المسيح، بل أعاد وضعه في مقام النبوة الذي يليق به.

الحادي عشر: القرآن يعلن أن صفات محمد وأصحابه موجودة في التوراة والإنجيل

ولا يترك القرآن هذه القضية بصورة عامة فقط، بل يقدم وصفًا للنبي وأصحابه، ثم يقول إن مثلهم موجود في التوراة والإنجيل.

قال الله تعالى:

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾

[الفتح: 29]

وهذه الآية تقدم صورتين: «ذلك مثلهم في التوراة»

ثم: «ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه....»

فالقرآن يقرر أن ظهور هذه الأمة ونموها وانتشارها كان له أصل في الكتب السابقة.

والصورة الزراعية هنا بالغة الوضوح:

زرع يخرج ، ثم يقوى.

ثم يغلظ ، ثم يستوي على سوقه.

ثم يعجب الزراع.

وهذه صورة لنمو جماعة صغيرة حتى تصبح أمة قوية واسعة الانتشار.

الثاني عشر: صورة الزرع في الإنجيل

تظهر صورة الزرع والنمو في أمثال الإنجيل أيضًا.

في إنجيل متى 13:31-32:

«قدم لهم مثلًا آخر قائلًا: يشبه ملكوت السماوات حبة خردل أخذها إنسان وزرعها في حقله. وهي أصغر جميع البزور، ولكن متى نمت فهي أكبر البقول وتصير شجرة، حتى إن طيور السماء تأتي وتتآوى في أغصانها.»

وتظهر صورة الزرع والنمو كذلك في إنجيل مرقس 4:26-29:

«وقال: هكذا ملكوت الله كأن إنسانًا يلقي البذار على الأرض، وينام ويقوم ليلًا ونهارًا، والبذار يطلع وينمو وهو لا يعلم كيف. لأن الأرض من ذاتها تأتي بثمر: أولًا نباتًا، ثم سنبلًا، ثم قمحًا ملآن في السنبل. وأما متى أدرك الثمر، فللوقت يرسل المنجل لأن الحصاد قد حضر.»

وهنا تظهر الصورة التي أشار إليها القرآن في سورة الفتح:

بداية صغيرة ، ثم نمو ، ثم قوة ، ثم انتشار ،ثم حصاد.

والقراءة الإسلامية ترى أن هذه الصورة تتوافق مع بداية الإسلام في مكة، ثم الهجرة إلى المدينة، ثم قيام الجماعة الإسلامية، ثم اتساعها وانتشارها خارج الجزيرة العربية.

الثالث عشر: ملكوت يُنزع ويُعطى لأمة أخرى

ويأتي في إنجيل متى 21:43: «لذلك أقول لكم: إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره.»

وهذه العبارة تُقرأ في سياق الحديث عن انتقال حمل الرسالة من جماعة إلى جماعة.

والإسلام يقدم نفسه باعتباره امتدادًا لإبراهيم وموسى وعيسى، لكنه يخرج الرسالة من الإطار القومي الخاص إلى رسالة عالمية.

قال الله تعالى:﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: 28]

فالنبي محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن رسولًا إلى بني إسرائيل وحدهم، وإنما أُرسل إلى الناس كافة.

وهنا تتوافق الصورة مع عبارة: «يعطى لأمة تعمل أثماره».

الرابع عشر: اجتماع العلامات في شخصية واحدة

عند جمع النصوص التي سبق ذكرها، تظهر مجموعة من العلامات المتتابعة:

نبي يأتي بعد موسى.

يكون مثل موسى.

يأتي من «إخوتهم».

يضع الله كلامه في فمه.

يبلغ ما يؤمر به.

يظهر من منطقة مرتبطة بإسماعيل.

يذكر النص فاران.

ويذكر قيدار.

ويتحدث عن عبد لله يخرج الحق للأمم.

ويتحدث عن الشريعة.

ثم يظهر في الإنجيل شخص يأتي بعد المسيح.

لا يتكلم من نفسه.

يتكلم بما يسمع.

يخبر بأمور آتية.

ويمجد المسيح.

ثم يقدم القرآن الصورة النهائية ويقول:

«ذلك مثلهم في التوراة»

و:

«ومثلهم في الإنجيل».

وهذه العناصر هي التي جعلت الباحث المسلم يرى أن الحديث لا يدور عن شخصيات متعددة، وإنما عن سلسلة من البشارات التي تلتقي في النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

الخامس عشر: من البشارة إلى الواقع التاريخي

ولا تقف القضية عند النصوص وحدها.

فحين نضع العلامات إلى جانب التاريخ، نجد أن محمدًا صلى الله عليه وسلم ظهر في الجزيرة العربية، من نسل إسماعيل، في مكة، ثم هاجر إلى المدينة، وأسس جماعة مؤمنة ودولة، وجاء بشريعة، وانتشرت رسالته إلى أمم متعددة.

وقد وصفه القرآن بأنه:

«النبي الأمي».

ووصف رسالته بأنها:

«رحمة للعالمين».

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107]

ووصفه كذلك بأنه رسول إلى الناس كافة.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

[الأعراف: 158]

وهنا تكتمل الصورة القرآنية للنبي الذي تقول عنه الآية السابقة إنه مكتوب عند أهل الكتاب.

الخاتمة: البشارة التي بقيت رغم تبدل الألفاظ

تبدأ الخيوط من لفظ: محمديم

ثم تنتقل إلى: أحمد ، ثم إلى: الذي يأتي بعد المسيح

ثم: روح الحق ، ثم: النبي مثل موسى ، ثم: من إخوتهم

ثم: فاران ، ثم: قيدار ، ثم: عبد الله الذي يخرج الحق للأمم

ثم: الشريعة ، ثم: الأمة التي تنمو كالزرع.

وفي النهاية يأتي القرآن ليضع الإطار الذي يجمع هذه المعاني، فيقول:

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

[البقرة: 146]

فالقضية في المنظور الإسلامي ليست ظهور دين منفصل عن الرسالات السابقة، وإنما ظهور خاتم الأنبياء الذي بشرت به الرسالات، والذي جاء ليعيد الناس إلى أصل واحد:

عبادة الله وحده ، وتصديق الأنبياء جميعًا ، وعدم تأليه البشر ، وإتمام سلسلة الوحي.

وقد قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَٰكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: 40]

وهكذا تنتهي البشارة باسم محمد وأحمد، وبالنبي الآتي من «إخوتهم»، وبفاران وقيدار، وبعبد الله الذي يخرج الحق إلى الأمم، وبالرسول الذي يمجد المسيح ولا ينكره.

وفي التصور الإسلامي، لم يكن محمد صلى الله عليه وسلم غريبًا عن سلسلة النبوة، بل كان خاتمتها.

فموسى نبي ، وعيسى نبي ، ومحمد نبي.

والإله واحد.

والرسالة في أصلها واحدة: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: 19].

وهنا تظل البشارة قائمة، مهما اختلفت الترجمات وتعددت التفسيرات، ويبقى السؤال مفتوحًا أمام كل باحث يريد أن يقرأ النصوص بلغاتها، ويقارنها بالقرآن، وينظر في تاريخ الأنبياء وسيرهم بعيدًا عن التقليد الأعمى:

من هو النبي الذي اجتمعت فيه هذه العلامات؟

ومن هو الذي جاء بعد المسيح؟ ومن هو الذي خرج من ذرية إسماعيل؟

ومن هو الذي جاء بشريعة؟ ومن هو الذي انتشرت رسالته بين الأمم؟

ومن هو الذي شهد للمسيح بأنه رسول الله؟

إن الإجابة التي يقدمها القرآن واضحة:

محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

كتيب

كريم عشماوي

مفكر وباحث حر، مؤلف كتب: أسرار المحراب، مَثَلُ نوره ١، مثل نوره ٢، قصة تروم المسيحية، محمديم

هذا الكتيب مقال من كتاب

«قصة تروم المسيحية»

احصل على الكتاب من كتوباتي
https://www.ktobati.com/author/كريم-عشماوي

Lulu
https://www.lulu.com/shop/karim-ashmawy/قصة-تروم-المسيحية/ebook/product-dyqq5n8.html

Gumroad
https://karimashmawy.gumroad.com/

جميع المقالات على زينودو
https://zenodo.org/communities/kareem-ashmawy

ORCID
https://orcid.org/0009-0001-8776-4091